المدخل الأساس لدراسة

مدائح سيّد الناس – صلى الله عليه وسلم-

د سالم عبدالعزيزسالم عوده

الحمد لله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفوا أحد، والصلاة والسَّلام على أشرف المرسَلين سيدنا ومولانا محمد صلَّى الله عليـه وسلَّم ، وعلـى آله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين ومَن سار على هديه وهديهم إلى يوم الدِّين فـالكلام عـن مـدْح سـيِّدِ البشـر ـ صـلَّى الله عليـه وسـلَّم ـ يَعجِـز اللسـان عنـه ، ويرتعش القلـب والعقل والقلـم وكافـة الجوارح عن الكتابـةِ والبيـان فيـه أو عنـه أو حوله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ولكن حسبُنا في هذا المقام أن ننـال شرَف الكلام عن أفضل خلق كلهم، ولله در من قال:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم[1]

فهو صلَّى الله عليه وسلَّم سيِّد ولد آدَم ولا فخر، وخليل الرَّحمن ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ خير مَن قُرِضت في حقِّه المدائح، وأَوْلَى مَن صدَح بالثناء عليه الصادح.

والفخر لنا أمة النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا لـه ، لأنـه أعلى مقاما من الفخر ، وقوله صلى الله عليه وسلم: "ولا فخر" يعني أن قوله هذا من باب التبليغ عن الله ،لامن باب التفاخر منه صلى الله عليه وسلم ، فالله أمره من باب التبليغ أنه صلَّى الله عليه وسلَّم سيد ولد آدم.

عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا.

[1] البوصيري، المكتبة الشاملة كل دواوين العرب

وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال « قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر "[2]

قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر . وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر . وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر . ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر) قال الشيخ الألباني : صحيح[3]

عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :" إني لأول الناس تشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر آتي باب الجنة فآخذ حلقته فيقول من هذا فأقول أنا محمد فيفتحون لي فأدخل فإذا الجبار مستقبلي فاسجد له"[4]

وكانت قبائل العرَبُ تعيش قبل مَبعثِ النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في ظلمات وجهل وحروب وتناحر على أتفه الأسباب؛ يشركون بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ و غيرذلك

---

[2] الجامع الصحيح (سنن الترمذي) - (13 / 197)

[3] السنن لأبن ماجه- طبعة دار الفكر - (2 / 1440)

[4] سنن النسائي الكبرى ـ طبعة دار الكتب العلمية - (4 / 401)

ممَّا كـانوا عليـه مِـن الجهل والظلـم والشـرك والكفـر بـالله العظـيم، ومـع ذلـك كـانوا أصحابَ فصاحةٍ وبيـان، ويتبـارون بالأشـعار فـي أسـواقهم، وتُحفظ مقولتهم مـدحًا وذمًّا، وتظلُّ عالقةً بمَن قيلت فيه، وما خبَر أنْف الناقة والذَّنَب ببعيد، وخبَر بنيَّات الرجـل العربـي الثمـان ـ الـذي نحَـر ناقتَـه للأعشـى فمدحـه ومـدَح بنياتِـه فتسـابقت العرب وسارعت إلى زواجهنَّ ـ بخافٍ!

فلمَّـا أشـرقتْ شـمسُ نبوَّتـه ـ صـلَّى الله عليـه وسـلَّم ـ علـى العرَب وهـم علـى هـذه الحال، أبهر فُصحاءَهم وشعراءَهم، بحسن أخلاقه وعفَّته وأمانته، بل بديهته وفقط كانتْ تأسِر القلوب والأفئدة:

لو لم تَكُن فيه آيَةٌ مبيِّنة *** لَكَانَتْ بَديهَتُه تَأْتِيكَ بِالخَبَرَ[5]

فضل الشعر عند النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.[6]

بسم الله الرحمن الرحيم

"حدثني أبو الفضل العباس بن الفرج الرِّياشي قال: روى لنا أشياخنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستحسن الشعر ويستنشده من أهله، ويُثيب عليـه قائلَـه. ثم يُروى أن شاعراً أنشده مدحاً في الله ومدحاً فيـه، فأثابـه علـى مدحـه لله ولـم يثبـه على مدحه له.

وكان يتمثل بقول طرَفة: ويأتيك من لم تزوّد بالأخبـار. لأن الشـعر لـم يجـرِ قـط علـى لسانه. وقال يوماً لأبي بكر رحمـة الله عليـه: كيـف قـال العبـاس بـن مـرداس: أتجعل

[5] لعبدالله بن رواحة الأنصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم
[6] - الفاضل ـللمبرد **(1 / 3)**

نهبي ونهب العُبَيد بين الأقرع وعُيَينة؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله صلى الله عليه: بين عُيينة والأقرع. قال: أليس هما سواء! وكان يستحسن:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ ... وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

وكان يقول: " إن من الشعر لحكمةً، وإن من البيان لسحراً " . وكان حسان بن ثابت شاعره. ويروى أنه أنشده في كلمة له يقول فيها:

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيّنةٌ ... كانت بُداهتُه تُنْبيك بالخبرِ

فأعجب بذلك، صلى الله عليه وسلم، وأثاب حساناً ودعا له.

ويروى أنه قيل لحسان بعد موت رسول الله عليه السلام: ما بالُك لا تَرثي رسول الله عليه السلام؟ قال: لأني أستقل كل شيء يجيئني فيه.

وروى أبو عبيدة قال: كان ابن عباس يقول: إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب. وكان يُسأل عن القرآن فينشد الشعر.

وسئل عن الزَّنيم، فقال: هو الدعيّ الملصّق، ألم تسمع إلى قول الشاعر:

زَنيمٌ تداعاه الرجالُ زيادةً ... كما زيدَ في عرض الأديم الأكارع

وسئل عن قوله عز وجل: " والليلِ وما وَسق " . قال: وما جمع، ألم تسمع إلى قول الراجز:

إنّ لنا قَلائصاً حقائقا ... مُسْتَوسَقاتٍ لو يجِدن سائقا

وكان يفسر قوله: " فإذا همْ بالساهِرة " . قال: بالأرض، ألم تسمع إلى قول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

فذاك جزاءُ ما عملوا قديما ... وكلُّ بعد ذلكُم يدومُ

وفيها لحمُ ساهرةٍ وبحر ... وما فاهوا به لهمُ مقيمُ

وتحدث عمر بن شَبّة قال: بينما ابن عباس في المسجد الحرام وعنده ناس من الخوارج وابن الأزرق يسائلونه إذ أقبل عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة فقال: أنشدنا، فأنشده:

أمن آل نُعم أنت غادٍ فمُبكِرُ ... غَداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ

حتى جاء على آخرها، فأقبل عليه ابن الأزرق فقال: تالله يا بن عباس، إنا نضرب إليك أكباد الإبل عن أقاصي البلاد لنسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل علينا، ويأتيك مترفٌ من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلاً أيْما إذا الشمسُ عارضتْ ... فيَخزى وأمّا بالعشيِّ فيخسرُ

فقال ابن عباس: ليس هكذا. قال: فكيف قال: فأنشده:

رأت رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتُ ... فيضحى وأما بالعشيِّ فيخصَرُ "

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب، قال العنبي: هو المدح بالباطل والكذب، أما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به. وقد مدح أبو طالب والعباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسان وكعب وغيرهم، ولم يبلغنا أنه حث في وجه مادح تراباً. ومدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار. ومدح هو صلى الله عليه وسلم نفسه فقال: أنا سيد ولد آدم. وقال يوسف عليه: إني حفيظ عليم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا أثنيت على الرجل بما فيه في وجهه لم تزكه.

وفي حثو التراب معنيان: أحدهما التغليظ في الرد عليه، وثانيهما ان يقال له: بفيك التراب.

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا مدح قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون، واغفر لي مالا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون.

أبو بكرة عن أبيه: مدح رجل رجلاً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: ويحك قطعت عنق صاحبك. ثم قال: إن أحدكم مادحاً صاحبه فليقل : احسب فلاناً ولا أزكى على الله أحداً.

أثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قطعتم ظهره، لو سمعها ما أفلح بعدها.

أبو خلف خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مدح الفاسق اهتز العرش، وغضب الرب.

مطرف: ما مدحني أحد إلا تصاغرت في نفسي.

سارية بن زنيم الديلي، وهو الذي ولاه عمر فارس وقال: يا سارية الجبل:

فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد

وهو أصدق بيت قالته العرب.

من احسن ما مدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم قول عبد الله بن رواحة:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تنبيك بالخبر[7]

---

[7] **ربيع الأبرار للزمخشري- (1 / 422)**

فما كان مِن هؤلاءِ الشعراء إلا أن قَصَدوه بالمدح والثناء، ومدحه والثناء عليه ليس كأي مدح وثناء؛ فقدْ تميَّز مدحُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - عن مدح الممدوحين طرًّا بالصِّدق والإخلاص؛ إذ مدْحُ الملوك والعظماء وغيرهم كان غالبًا لنيل العَطاء، أو لدفْع البلاء! أما مدح النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - فلم يكُن إلاَّ محبَّة وصِدقًا.

تتبُّع تاريخي لغرض المدائح النبوية:

وكان مِن أوَّل من مدح النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - مِن شُعراء العرَب الأعشى على خلاف في ذلك مثنيًا على كرمه بقوله في مطلع قصيدته الدالية:

أَلَم تَغتَمِض عَيناكَ لَيلَةَ أَرمَدا وَعادَكَ ما عادَ السَليمَ المُسَهَّدا

كذلك النابغة الجعدي أنشأ قَصيدةً مَدَح فيها المصطفى - صلَّى الله عليه وسلَّم - ومنها قوله:

أَتَيتُ رَسُولَ اللهِ إذ جاءَ بالهُدى وَيَتلُو كِتابًا كالمجرَّةِ نَيِّرَا

وكذا مدَحه عمُّه أبو طالب قائلاً:

وَأَبَيضَ يُسْتَسقَى الغَمامُ بِوجَهِه ثُمالُ اليَتامَى عِصمةٌ للأَرامِلِ

وممَّا ذاعت شهرتُه وكثرت عنه الأنباء، وتَداوله بالشَّرْح والتفسير العلماءُ والأدباء، قصيدةُ كَعْب بن زهير في مدح سيِّد الأنبياء صلَّى الله عليه وسلَّم ، التي كان من أمرها أن سمعها منه النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وبعدها كافأه بأن خلع بردته وألبسه إياها ؛ يقول في مطلعها[8]:

[8] المجموعة النبهانيةج3ص6

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ *** مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ

وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا *** إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ

ومنها قوله:

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللهِ أَوعَدَني *** وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللهِ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ الـ *** ـقُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

وقوله:

مَا زِلتُ أَقتَطِعُ البَيداءَ مُدَّرِعًا *** جُنْحَ الظَلامِ وَثَوبُ اللَيلِ مَسبولُ

حَتّى وَضَعتُ يَميني لا أُنازِعُهُ *** فِي كَفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ

إلى آخر ما قاله.

ومَع انبلاجِ نور الحقِّ وخوف أهلِ الباطِل مِن دحْر ظُلماتهم التي جثَمتْ على صدور الناس هب شعراء أهل الشك والضلال يَهجُون النبيَّ المختار - صلَّى الله عليه وسلَّم، فانبرَى له مِن أتباعه الأوفياء، وأنصاره الأتقياء، مَن يذود عنه بالعِرْض وباللِّسان، وعلى رأسهم الشاعِر الهُمام، والمنافح الضرغام حسان بن ثابت - رضي الله عنه - الذي لقب بشاعر الرسول؛ من كثرة ما قال في مدحه والدِّفاع عنه؛ يقول في همزيته الرائعة:

وَقالَ اللهُ قَد أَرسَلتُ عَبدًا *** يَقولُ الحَقَّ إِن نَفَعَ البَلاءُ

شَهِدتُ بِهِ وَقَومي صَدَّقوهُ *** فَقُلتُم ما نُجيبُ وَما نَشاءُ

أَلا أَبلِغ أَبا سُفيانَ عَنّي *** فَأَنتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ

هَجَوتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبتُ عَنهُ *** وَعِندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

أَتَهجوهُ وَلَستَ لَهُ بِكُفءٍ *** فَشَرُّكُما لِخَيرِكُما الفِداءُ

هَجَوتَ مُبارَكًا بَرًّا حَنيفًا * أَمينَ اللهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ**

فَمَن يَهجو رَسولَ اللهِ مِنكُمْ * وَيَمدَحُهُ وَيَنصُرُهُ سَواءُ[9]**

إلى غير ذلك مما يطول المقام بذِكْره...

وظلَّ الشعراء في كلِّ عصرٍ ومِصر على هذا المنوال؛ يمدحون النبي المختار، ففي العصر الأُموي نرَى مِن أهمِّ شعراء المديح النبوي في هذا العصر الفَرزدق، ومِن قصائده الرائعة: الميمية التي نوَّه فيها بآل البيت، واستعرَض سموَّ أخلاق النبيِّ الكريم وفضائله؛ يقول في مطلعها:

هَذا الَّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَه * وَالبَيتُ يَعرِفه والحِلُّ والحَرَمُ**

ثم يأتي الشريفُ الرضيُّ، الذي يذهب مذهبَ التصوف في مدْح الرسولِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - وذكْر مناقب أهل البيت، خاصَّة أبناء فاطمة الذين رفعهم الشاعر إلى مرتبةٍ كبيرة مِن التقوى والمجد والسؤدد؛ يقول في داليته:

شَغَل الدُّموعَ عن الدِّيار بُكاؤُنا * لبُكاءِ فَاطمةٍ على أَولادِها**

ويقول أيضًا في مطلع لاميته الزهديَّة المشهورة:

رَاجِلٌ أنت واللَّيالِي نُزولٌ * ومُضِرٌّ بِكَ البَقاءُ الطويلُ**

وفي العصر العباسي يَجيء الشاعرُ مهيار الديلمي، الذي له عشرات القصائد في مدْح أهل البيت والإشادة بأوصافِ الرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وصفاته الحميدة التي لا تُضاهَى ولا تُحاكَى.

ومن الشعراء الصوفية الذين أكثروا من المدح الشاعر المصري -في العصر العباسي الثاني- الصوفي ابنُ الفارض؛ ومن ذلك جيميته التي مطلعها:

---

[9] المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ج1

ما بين معترك الأحداق والمهج   *   أنا القتيل بلا إثم ولا حرج**

ويقول فيها:

فيه خَلَعْتُ عِذَاري واطّرَحْتُ بِهِ   *   قَبولَ نُسْكيَ والمقبولَ من حِججي**

ويقول:

انْظُر إلى كبِدٍ ذابت عليكَ جَوًى   *   ومُقْلَةٍ من نجيعِ الدّمع في لُجَجِ**

وارحَمْ تَعَثُّرَ آمالي ومُرْتَجَعي   *   إلى خِداعِ تَمَنّي الوَعْدِ بالفرَجِ**

وغير ذلك كثير...

إلى أن يأتي القرنُ السابع الهجري ويظهر أهمُّ الشعراء في هذا الميدان، وهو محمد بن سعيد البوصيري (608 - 696هـ)، فيُنشد كثيرًا مِن الأشعار في مدْح النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم – فنراه في همزيته الشهيرة، التي بلغت 457 بيتا، يبسُط فيها حياةَ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وسيرته ومعجزاته....، ومطلعها:

كَيفَ ترقَى رُقِيَّك الأَنبياءُ   *   يا سَماءً ما طاوَلَتْها سماءُ**

لَمْ يُساوُوك في عُلاكَ وَقَدْحا   *   لَ سنًا مِنك دونَهم وسَناءُ**

وفي ميميته الشهيرة بالبردة التي ذاعتْ في الآفاق، فحفظتْها الأجيالُ وشرحَها الشارحون، ونسَج على منوالها وعارَضها الشعراءُ والمادحون [10] ؛ يقول في مطلعِها:

أمِنْ تَذَكُّرِ جِيران بِذِي سَلَمٍ   *   مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ**

وقد عارض قصيدة (بانت سعاد) لكعْب بن زهير بقصيدةٍ مطلعُها:

---

[10] أمثال ابن جابر الأندلسي في ميميته البديعية، وعبدالله الحموي مِن شعراء القرن التاسع، والبارودي وشوقي في العصر الحديث.

إِلَى متَى أنتَ باللَّذَّاتِ مَشغُولُ * وَأنتَ عن كلِّ ما قَدَّمْتَ مَسؤُولُ**

ثم جاءَ بعدَه شهابُ الدِّين المقَّرِي صاحِب "نفح الطيب" (992 1041 هـ) فأكْثَر مِن نظم الشعر - بل النثر أيضًا - في مدْح النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - والتوسُّل به أيضًا! وكتاب "نفح الطيب" - وكذلك كتاب "أزهار الرياض" - مليءٌ بهذه القصائد التي يَرويها عن الشعراء، وفي أحايين كثيرة تكون هذه القصائدُ له هو، وهو الذي نظَمها؛ فإنَّ هذا معروف من طريقته في التأليف؛ فهو كاتب وشاعر جيد ويُضمِّن كلامه كثيرًا من الشعر، ومن الأمثلة على ذلك قوله عندما أطال في المقدمة من مدْح المصطفى - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "وربما يقول مَن يقف على سرْد هذه الأمداح النبوية: إلى متى وهذا الميدان تكل فيه فرسان البديهية والروية؟ فأُنشده في الجواب، قول بعض مَن أَمَّ نهج الصواب:

لأديمنَّ مديحَ المصطفى * فِعْل مَن في الله قوي طَمعُه**

فعَسى أنْعَم في الدُّنيا به * وعسى يَحشُرني الله مَعَه"(5(**

وكما ذكرنا؛ فكتاب المقَّري هذا مليءٌ بالقصائد والموشَّحات في المديح النبويِّ لكثيرٍ مِن شعراء الأندلس وغيرهم، ولنذكر أمثلةً على ذلك، ومَن أن أراد أن يستزيد فدونه كتاب "نفح الطيب" وأزهار الرياض" للمقري، ودراسة محمَّد عبد الغني حسَن بعنوان "المقري صاحب نفح الطيب" فصل المديح النبوي (ص: 126 - 141(:

يقول المقري: "وما أحسن قول عالم الأندلس المالكي اللبيب، عبد الملك السلمي المشهور بابن حبيب:

لله درُّ عصابةٍ صاحبتها * نحو المدينة تقطع الفَلواتِ**

ومَهامهٍ قد جبتها ومفاوزٍ * ما زلتُ أذكرها بطول حياتي**

إلى أن يقول:

صَلَّى الإله على النبيِّ المصطفى * هادي البرية كاشف الكُرباتِ!**

ويذكُر أيضًا قول كمال الدِّين ناظر قوص:

أنخ، هذه والحمد لله يثرب * فبشراك قد نلت الذي كنت تطلب**

فعفر بهذا الترب وجهك، إنه * أحق به من كل طيبٍ وأطيب**

وقبِّل ربوعًا حولها قد تشرفت * بمن جاورت، والشيء يحبب**

وسكن فؤادًا لم يزل باشتياقه * إليها على جمر الغضا يتقلَّب**

وكَفْكِف دموعًا طالما قد * سفحتها وبرد جوى نيرانه تتلهب**

قول الرُّعيني الغِرْناطي:

هذه روضة الرسول فدَعْني * أبذل الدمعَ في الصَّعيد السَّعيد**

لا تلمني على انسكاب دُمو * عي إنما صنتها لهذا الصعيد**

ثم يعلق قائلاً: ولَمَّا سلمتُ على سيِّد الأنام - عليه مِن الله أفضلُ الصلاة وأزكى السلام - ذُبتُ حياءً وخجلاً؛ لما أنا عليه من ارتكاب ما يقتضي وجلاً، غير أني توسلتُ بجاهه - صلَّى الله عليه وسلَّم! في أن أكون ممَّن وضح له وجه الصفح وجلاً:

إليك أفرُّ مِن زَلَلي * فِرارَ الخائف الخَجِلِ**

وكان مزارُ قبْرك بالـ * مدينةِ له نفْسي بلا خَللِ**

فخُذ بيدي غريقٍ في * بِحار القول والعملِ**

وهَبْ لي منك عارفة *** تعرَّفت ما تنكر لِي
وتهديني إلى رُشدي *** وتمنعني مِن الزللِ
وتحملني على سَنَنٍ *** يؤمِّني من الوجلِ
فأنت دليل مَن عميت *** عليه مسالك السبلِ
وإنك شافع بر وموئلنا من الوهل
إلى أن يقول:
على جدواك معتمدي *** فأَنقذني مِن الدَّخَلِ
وألحقني بجناتٍ *** لدَى دَرجاتِها الأُولِ
بصديقٍ وفاروقٍ *** وعثمان الرِّضَا وعلي
فأنت ملاذ معتصمٍ *** وأنت عِمادُ مُتَّكل
عليك صلاة ربك جـ *** لَّ في الغدوات والأصل" [11]

وغالب الظنِّ أنَّ هذا النظم الأخير للمقرِّي نفسَه، وما أعظم وأشنع ما فيه من غلو، وتوسل غير مشروع!

وشعر المقري في المدائح النبوية - من الناحية الفنية والأدبيَّة - كما يقول محمد عبد الغني حسن يتروح بين القوة والضعف، ويغلب عليه التقليد والمحاكاة ورص الألفاظ، أكثرَ ممَّا تغلب عليه الشعرية والطلاوة، والقوة وافتراع المعاني، كشعر حسان والبوصيري في بردته الميمية والهمزية، وشعر أحمد شوقي في نهج البردة، وله قصيدة جيدة الصياغة، حسَنة السبك، يقول فيها مطلعها:

ليس كلُّ القريضِ يَقْبَله السَّمْ *** عُ وتُصغي لذِكره الأفهامُ

[11] نفح الطيب" (1/ 46 – 48)

إنَّ بعضًا مِن القريض هُراءٌ   ***   ليس شيئًا، وبعضُه أحكامُ

ومما تجدر الإشارة إليه: أنَّ شِعر المقري ومَن نقل عنهم لا يخلو مِن الغلو المنهي عنه والتوسُّل غير المشروع بذات النبيِّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وجاهه، كما رأينا عندَ البوصيري.

ومِن الشُّعراء الذين طرَقوا هذا الميدان ابن نباتة المصري؛ فقد ترَك لنا خمس قصائد في المديح النبوي، وهي: همزيته التي مطلعها:

شجون نحوَها العشَّاق فاؤوا   ***   وصبٌّ ما له في الصبر راءُ

ورائيته التي مطلعها:

صَحا القلب لولا نسمةٌ تتخطَّر   ***   ولمعة برق بالغضا تتسعَّر

وعينيته التي مطلعها:

يا دارَ جيرتنا بسَفْحِ الأجرعِ   ***   ذَكرتْك أفواه الغيوثِ الهُمَّعِ

ولاميته التي مطلعها:

ما الطَّرْف بعدَكمُ بالنوم مكحولٌ   ***   هذا وكمْ بيننا من رَبعكم مِيلُ

والميمية التي مطلعها:

أُوجز مديحك فالمقام عظيم   ***   مِن دونه المنثور والمنظوم

وأيضًا من الشعراء المغاربة الذين اشتهروا بالمديح النبوي مالك بن المرحَّل، يقول ميميته المشهورة التي يعارض فيها قصيدةَ البوصيري الميمية [12]

شَوقٌ كما رفعت نار على عَلَمٍ   ***   تشبُّ بيْن فروع الضالِّ والسلِمِ

---

[12] لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1975م، ج3، ص:314-315.

ويقول في قصيدته الهمزيَّة مادحًا النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم:-

إلى المصطفى أهديت غر ثنائي **فيا طيب إهدائي وحسن هدائي[13]

أزاهير روض تُجتنَى لعطارة *** وأسلاك در تُصْطَفَى لصفاء

والشاعِر السَّعْدي عبد العزيز الفشتالي، الذي يقول في إحدى قصائده الشعرية:

محمد خير العالمين بأَسْرها *** وسيّدِ أهل الأرض مِ الإنس والجان [14]

ومنهم القاضي عياض؛ فقد خلَّف مؤلِّفاتٍ عديدةً وقصائدَ أغلبها في مدْح الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - والتشوق إلى الديار المقدَّسة كما في قصيدته الرائية[15]:

قِف بالرِّكابِ فهذا الرَّبْع والدار *** لاحَتْ علينا مِن الأحباب أنوارُ

ومِن شعراء الأندلس الذين اهتمُّوا بالمديح النبوي، وذكْر الأماكن المقدسة لسانُ الدين بن الخطيب؛ يقول في قصيدته الدالية:

تألق "نجديا" فاذكرني "نجدا" *** وهاج لي الشوق المبرح والوجدا[16]

وميض رأى برد الغمامة مغفلا *** فمد يدا بالتبر أعلمت البردا

وفي العصر الحديث نجِد في دواوين شُعراء البعث والإحياء أو ما يُسمَّى بشعراء التيار الكلاسيكي، أو الاتجاه التراثي مجموعةً مِن القصائد في مدح الرسول -

---

[13] محمد بن تاويت: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ج1، دار الثقافة، البيضاء، الطبعة 1، 1982، ص:339-340.

[14] عبد العزيز الفشتالي: شعر عبد العزيز الفشتالي، جم ع ودراسة وتحقيق: نجاة المريني، ص:420-428.

[15] القصيدة من مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط في مجموع من ورقة 166-168، رقم:744.

[16] لسان الدين بن الخطيب: ديوان لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: الدكتور محمد مفتاح، المجلد1، دار الثقافة، البيضاء، ط1، 1989، ص:346-350.

صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ تستند إلـى المعارضـة تـارةً، أو إلـى الإبـداع والتجديـد تـارةً أخرى.

ومِـن الشـعراء الـذين برَعـوا فـي المـديح النبـوي نـذكُر: محمـود سـامي البـارودي، وأحمد شوقي، ومحمد الحلوي، وآخرين كثيرين.

فمن قصائد محمود سامي البارودي قصيدته الجيمية التي يقول فيها:

يا صارم اللحظ مَن أغراك بالمُهَجِ * حتى فتَكَتْ بها ظلمًا بلا حَـرجِ**

ما زال يَخدَع نفْسي وهي لاهية * حتى أصاب سوادَ القلب بالدَّعجِ**

وهـذه القصـيدة معارضـةٌ لقصـيدة الشـاعر العباسـي الصـوفي ابـنِ الفـارض التـي مطلعها:

ما بين معترك الأحداق والمهج * أنا القتيل بلا إثم ولا حرج**

ومن قصائد محمود سامي البارودي في المديح النبوي قصيدته "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" وعدد أبيات هذه القصيدة 447، ومطلع القصيدة هو:

يا رائد البرق يمم دارة العلم * واحد الغمام على حي بذي سلم**

ومِن الشعراء الآخرين الذين نظَموا على منوال البردة: الشيخ أحمد الحملاوي في قصيدته التي سمَّاها كذلك بـ"منهاج البردة"، ومطلعها:

يا غافرَ الذنبِ مِن جُودٍ ومِن كرم * وقابل التوب من جان ومجترم**

ويحذو أحمدُ شوقي حذوَ البارودي في معارضة الشعراء القُدامَى في إبداع القصائد المدحية، التي تتعلق بذكر مناقب النبي وتَعداد معجزاته وصفاته المثلى، كما في همزيته الرائعة التي مَطلعُها:

وُلِد الهدى فالكائناتُ ضياءٌ * وفي فَم الزَّمان تبسُّم وثَناءُ**

ويقول في مُولديته البائية:

سَلُوا قلبي غداةَ سَلا وتَابا *** لعل على الجَمال له عِتابَا

ومِن أحسن قصائد أحمد شوقي في مدْح الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قصيدته الميمية التي عارَض فيها قصيدةَ البردة للبوصيري، ومطلعها:

ريم على القاع بيْن البانِ والعَلم *** أحلَّ سفك دمي في الأشهر الحُرمِ

ومِن الشعراء المغاربة المعاصرين الذين مدَحوا النبَّي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الشاعر المراكشي إسماعيل زويريق، الذي خصَّص كتابين لسيرة الرسولِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تحت عنوان: "على النهج" يعارض فيهما شعراءَ المديح النبوي.

شعراء مسيحيون يمدحون سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم:

وما زال الشعراء يتبارون في هذا الميدان وهو رحب فسيح لكل من يدخله بحقه.

بل من العجيب كما يقول الدكتور مُفدي زهور عدي: أن نرى دررًا لشعراء مسيحيين (نصارى) في مدح النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - مثل القصيدة المتماسكة لشاعر مِن عائلة أرمينية مسيحية كاثوليكيَّة التي يهجم على موضوعه بشكلٍ مباشر قائلاً:

أَنوارُ هادِي الورَى في دارةِ العِلمِ *** رَفَّت على ذِكر جيران بذِي سَلَمِ

والقصيدة منشورة في مجلة الرسالة، في 1952/10/6م.

وفيها يزاوج الشاعر بين النصح والتشوق للنبي - عليه الصلاة والسلام:-

أقول للمصطفى: أعظمُ بما ابتدعت *** آياتُ ربِّك من خيرٍ ومِن نِعمِ

لو يَتبع الخَلقُ ما خلَّدتَ مِن سُنن *** لم يَفْتِكِ الجهلُ والإعوازُ بالأُممِ

ومن شعراء المديح النبوي (المسيحيين):

الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، وقد صاغ قصيدةً بعنوان "عيد البرية" يستحث فيها المسلمين لاستعادةِ مجدهم القديم منها، ويُقرئ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - سلاماته وحبَّه، داعيًا إلى التحابِّ والتآخي بيْن المسلمين والنصارى ؛ خِدمة لأوطانهم والشرق كله! فيهتف:

يا فاتحَ الأرضِ ميدانًا لدولتِه *** صارتْ بلادك ميدانًا لكلِّ قوي

يا قومُ هذا مسيحيٌّ يُذكِّركم *** لا يُنهض الشَّرقَ إلاَّ حبُّنا الأُخوي

فإنْ ذكرتم رسولَ الله تكرمةً *** فبلِّغوه سلامَ الشاعِر القروي

وعلى نفس الرُّوح ونفس الحب للنبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - صدَحتْ أشعار مارون عبود، وجورج صديح، ومحبوب الخوري الشرتوني، وإلياس فرحات، وخليل مطران.

وبعد هذا السرد التاريخي نعرج على بعض خصائص ومزايا المديح النبوي:

فمن ميزات المديح النبوي أنه شعر دِيني ينطلق من رُؤية إسلامية، ويهدف إلى تغيير العالم المعيش وتجاوز الوعي السائد نحو وعي ممكن يقوم على المرجعيَّة السلفية بالمفهوم الإيجابي.

ويتميَّز المديح النبوي - كما ذكرنا - بصِدق المشاعر، ونبل الأحاسيس، ورقة الوجدان، وحب الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم؛ طمعًا في شفاعته ووساطته يومَ الحساب، وما حب الرسول في القصيدة المدحية إلا مسلك للتعبير عن حبِّ الأماكن المقدَّسة والشوق العارم إلى زِيارة قبر الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - والوقوف على جبل عرفات، والانتشاء بكل الأفضية التي زارها الحبيب أثناء مواسم العمرة والحج.

ولقصائد المديح خصائص في الشكل والمضمون:

فمن حيث الشكل فأغلب قصائد المديح النبوي من القصيدة العموديَّة القائمة على نِظام الشطرين، ووحدة الرَّوي والقافية، واعتماد التصريع والتقفية، في المطلع الأوَّل من القصيدة.

وتتسم القصائد النبوية والمولديَّة الحديثة ذات النمط الكلاسيكي أو التراثي بتعدُّد الأغراض والمواضيع على غِرار الشعر العربي القديم، والسبب في هذا التعدُّد هو معارضة القصائد الأصلية كقصائد البوصيري وقصائد ابن الفارض وقصيدة كعب بن زهير وغيرها، وهذه المعارضة تدفع الشاعر إلى انتهاج نفس البناء والسير على نفس الإيقاع والروي والقافية، واستخدام نفس الألفاظ والأغراض الشعرية، ومِن ثَم فالقصيدة النبوية تتكوَّن على مستوى البناء مِن المقدمة الغزلية، ووصف المطايا، ومدح الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والتصلية والدعاء والاستغفار والتوبة؛ وهذا ما أفقد المديحَ النبوي الوحدة الموضوعية والعضوية، على الرغم من وجود الاتساق اللُّغوي على مستوى السطح الظاهري، والانسجام على مستوى العمق الدلالي.

وفيما يخص الإيقاع الخارجي، فقصائد المديح النبوي تعتمد على البحور الطويلة الجادَّة التي تتناسب مع الأغراض الجليلة المهمَّة كالمديح النبوي، والتصوُّف الروحاني والتشيُّع لآل البيت؛ لذلك يَستعمل شعراء المديح النبوي البحرَ الطويل والبحر البسيط والبحر الكامل والبحر الوافر والبحر الخفيف، ويعدُّ البحر البسيط من أهم البحور المفضلة لدَى شعراء المديح النبوي ولدى شعراء المعارضة، ومن المعلوم أن البردة التي نظمها الشاعر البوصيري كانتْ على البحر البسيط؛ لذلك

أصبحتْ هذه القصيدة نموذجًا يُقتدَى به في الشعر العربي الحديث مِن قِبل شعراء المديح النبوي موضوعًا وإيقاعًا وصياغة.

ومِن أهم القوافي التي استعملت كثيرًا في الشعر النبوي: الميم والسين، واللام والتاء، والهمزة والجيم؛ وهي قوافٍ صالحة وطيّعة لرصد التجرِبة الشعرية المولديَّة، أو النبوية، أو الصوفية الرُّوحانية، ما عدا قافية الجيم التي تُثير جرسًا خشنًا، ونشازًا شاعريًّا.

وعلى مستوى الإيقاع الداخلي، فشاعر المديح النبوي يستعمل بكثرة ظاهرة التصريع والتوازي الصوتي والتكرار الإيقاعي والجمع بيْن الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة. وينسجم هذا الإيقاع الشعري بكامله مع الجو الموسيقيِّ والنفسي والدلالي للقصائد المدحية.

وتمتح اللغة الشعرية ألفاظها المعجمية في قصيدة المديح النبوي من حقل الدِّين وحقل الذات وحقل العاطفة وحقل الطبيعة وحقل المكان وحقل التصوف.

كما يمتاز المعجم الشعري بالجزالة، وفخامة الكلمات، وقوة السبك، ورصانة الصياغة، وهيمنة المعجم التراثي، وغلبة الألفاظ الغريبة غير المألوفة؛ لذلك يغلب الجانب التراثي والبيان السلفي على هذا الشعر الديني كتابةً وتعبيرًا وصياغة.

ويستخدم هذا الشاعر المادح لرسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الجملَ الفعلية الدالة على التوتر والحركية، والجمل الاسمية الدالة على الإثبات والتأكيد، ونجِد كذلك المزاوجة بين الأساليب الخبرية والإنشائية؛ لإيجاد الوظيفة الشعرية بمكوناتها الإيحائية والمجازية، وغالبًا ما يستوجب مكون السيرة وسرد المعجزات

الأسـلوب الخبـري، بينمـا يفتـرض تـدخل الـذات وإظهـار المشـاعر والانطباعـات الانتقال مِن أسلوب إنشائي إلى آخر حسب السياقات المقصدية والوظيفيَّة.

ويشـغل شـعر المـديح النبـوي الصـور الشـعرية الحسـية القائمـة علـى المشـابهة مـن خلال استخدام التشبيه والاستعارة، والاستعانـة بالصـورة المجـاورة عبـر المـزج بـين المجـاز المرسـل والكنايـة الإحاليـة فـي التصـوير والبيـان، ويمكـن أن تتخـذ الصـور البلاغية ذات النطاق الحسـي طابعـا رمزيـا خاصـة فـي المقـاطع الصـوفية العرفانيـة، ويتـراوح البديعُ فـي المـديح النبـوي بـين العفويـة المطبوعـة والتصـنع الزخرفـي فـي القصـائد المدحيَّـة البديعيـة التـي نظمـت فـي العصـور المتـأخرة كمـا عنـد ابـن جـابر الأندلسي في ميميته البديعية .

وأريد ـ في الختام ـ أن أُشير إلى نِقاط ثلاث، هي من الأهمية بمكان:

النقطة الأولى: أن الرأي القائل بأن مَن أبدع فنَّ المدائح النبويـة هم الصـوفية [17]، هـو رأي تعوزه الدقـة والتحقيـق، بـل هـو غيـر صـحيح، والتحقيـق أنَّ فـن المـدائح النبويـة بـدأ منـذ بـزوغ فجـر وإشـراق شـمس نبـوَّة محمَّـد ـ صـلَّى الله عليـه وسـلَّم، وظلت على مر العصور، فلم يخل عصر إلا ونبغ فيـه شـعراء أبـدعوا فـي هـذا الفـن، إلى يـوم النـاس هـذا، وأمـا عـن الصـوفية فقد أكثـروا نـعَم، وأولعوا بهـذا الفـن حقًّـا، ولكن... بما سيتَّضح في:

النقطة الثانية: لقدْ أكثر الصوفية والشِّيعة أيضًـا مِـن المـدائح النبويَّـة، ولهـم قصـائدُ كثيـرةٌ وموشـحات وإنشـادات، ولكـن أكثـروا فيهـا مـن الغلـو والإطـراء، والتوسُّـل

[17] صاحب هذا الرأي هو الدكتور زكي مبارك في كتابه "المدائح النبوية في الأدب العربي"، من منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، الطبعة الأولى 1935، ص:17.

المنهي عنه خصوصًا في القرن السابع الهجري، الذي يُعرَف في التاريخ الإسلامي بانتشار التصوُّف فيه إلى حدٍّ كبير، فقلَّما تخلو قصيدة من قصائدهم من توسُّل شركي أو بدعي بجاه النبي أو بذاته، أو وصفه بصفات لا تليق إلا بالإله الواحد المنفرد، وطلب العفو والصفح عن الزلات وطلب ما يملك منه - صلَّى الله عليه وسلَّم، كما مرَّ معنا مِن أشعار ومدائِح .

النقطة الثالثة: أنَّ التحقيقَ في مدَى شرعيَّة فنِّ المدائح النبويَّة: أنها جائزة إذا ما روعيت فيها الضوابط الشرعية، والتزم فيها قول الصدق في حقِّ رسول الحق - صلَّى الله عليه وسلَّم – من غير غلو ولا إطراء، ومن غير توسل واستشفاع منهي عنه، وقد تُستحب أو تَجِب إذا كان دفاعًا عن مقام نبيِّنا السامي، وقدْره الشريف العالي، كما كان يفعل شاعر النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - حسَّان بن ثابت - رضي الله عنه - وغيره، فالذي ينبغي أن ينهى عنه هو الغلو والإطراء.

وأيضًا فمما لا يجوز شرعًا ما يفعل في المناسبات خصوصًا مولد النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم – من غِنائها وإنشادها وتلحينها، حتى الحروب، فضلاً عن الأفراح والأحزان، والموالد المبتدَعة واحتفالات الحجيج، وهذا الأمْر هو مِن أكثر الأمور تأثيرًا في انتشار هذه المدائح التي فيها المخالفات الشرعيَّة.

ومع هذا فقدْ بقِي كثيرٌ مِن الشعراء قديمًا وحديثًا بمعزلٍ عن هذا الغُلو أمثال مَن ذكَرْنا من الصحابة وغيرهم كثير ، وهذا هو المرجو المأمول من كل شاعر ينسج على منوال هؤلاء، والمأمول أيضًا مِن كل قارئ – بل يجب عليه - أن يُمحِّص ما يقرؤه ولا يغتر بأن هذه القصيدة في مدح النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم – وأن الذي

ينكرها لا يحب النبي ولا يمدحه وأنـه كذا وكذا؛ فاقْبلِ الحق، وادفعِ الباطِل، تُوفَّقْ بإذن ربك.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

وصـــــلَّى الله علــــى ســــيِّدنا محمَّـــــد، وعلــــى آلــــه وصـــحبه وســـــلَّم

المدائح النبويةفي العصر الحديث:

تزداد في العصر الحديث حاجة المسلمين إلى الالتصاق بالسيرة النبويـة حتى لا يفقدوا هـويتهم وانتسـابهم إلـى الـدين، وينسـوا تـاريخهم الزاهـر، وتنقلـب لـديهم المفاهيم والمبادئ، وتتغير الثوابت والقناعات بسسب مـا يتعرضون لـه من غزو ثقافي وهجوم إعلامي وحرب مبادئ لم يسبق لها في التاريخ البشري مثيلٌ، إن في السيرة النبويـة سراً عجيباً وتـأثيراً غريباً، فهـي الأرض الواقعيـة التـي ينبت فيهـا القـرآن الكـريم، والتطبيـق العملـي للسـنة الشـريفة، وهـي الفهـم الصـحيح للفقـه والصورة النقية للعقيدة.

وفي هذا اللقاء أحاول إثارة كنز من كنوز السيرة النبوية استمر لصيقاً وقريبـاً من حياة المسلمين الحافلة.. إنـه كنز المديح النبـوي الـذي هو لسان محبـي رسـول الله صلى الله عليه وسلم في كل جيل وعصر وأمة.

لقد مدح الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم مدحاً ما بعده مزيد، فجاء الخلق بعد ذلك مقصرين في حقه مهما اجتهدوا، ودون مقامه مهما تفننوا، وقد قال الزمخشري : [18]

أرى كلَّ مدحٍ في النبيِ مقصِّراً وإنْ بالغَ المُثْني عليه وأَكْثَرا
إذا اللهُ أثنى بالذي هو أهلُـه عليه، فما مقدارُ ما تَمْدَحُ الورى

- تتابع واستمرار المدائح النبوية عبر الزمان والمكان:

ولم يخل عصر من العصور ولا زمن من الأزمنة، ولا أمة من أمم الإسلام ولا شعب من شعوب المسلمين من مُدّاحٍ كُثُرٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الشيخ يوسف النبهاني :[19]

اعلم أن مداح النبي صلى الله عليه وسلم في كل عصر ومصر كثيرون لا يحصيهم عد، ولا يحيط بهم مد، ولو جمعت مدائح أهل عصر واحد منهم لبلغت عدة مجلدات.

وكثير من مداح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم نظموا في ذلك دواوين على أنحاء مختلفة، وبعضهم التزم في شعره أموراً لا تلزمه كالوتري والطرائفي والفازازي ومن تبعهم كالشهاب أحمد المنيني الشامي، فقد نظموها عشرات وعشرينات على حروف المعجم، والتزموا أن يكون أول حرف في كل بيت كحرف

---

18 للزمخشري
19 (**المجموعة** النبهانية 16/1)

القافية[20]، وبعضهم جعل جميع القصيدة حروفاً مهملة (أي بلا نقط) والبعض جعلها على عدة قوافٍ وغير ذلك من تفننات الشعراء.

ـ الحكم التكليفي لمدح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم:

مدح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مستحب مستحسن مسنون، وهذا حكم فقهي لم يخالف فيه أحد من المسلمين. جاء في الموسوعة الفقهية (مدح ف 4) :

دأب العلماء على مدح النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بعظيم قدره عند ربه ومنزلته، وما خصه الله به في الدارين من كرامته. قال القاضي عياض في كتابه العظيم "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"[21]: لا خلاف أنه صلَّى الله عليه وسلَّم أكرم البشر وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله، وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى. وكان له صلَّى الله عليه وسلَّم شعراء يصغي إليهم، منهم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهما، وقد مدح كعب بن زهير رضي الله عنه النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بقصيدته (بانت سعاد) فأثابه على مدحه ببردته الشريفة صلى الله عليه وسلم .

ـ المدائح النبوية من المنظور الفقهي أقسام ثلاثة:[22]

القسم الأول : <u>المديح المتفق على قبوله</u>، الذي لا يخالف أحد فيه، ولا يشذ أحد في منازعته، وإنما هو مأخوذ من صحيح الأخبار وواضح الألفاظ وجلي الفهم . وهذا قسم كثير موفور.

---

[20] هذا لون بديعي اسمه محبوك الطرفين

[21] **(215/1)**

[22] **الشيخ عبد الله نجيب سالم الباحث العلمي بالموسوعة الفقهية2009/11/1 م**

القسم الثاني : المديح المتفق على رده وإنكاره والزجر عنه، وهو ما خرج برسول الله عن حد العبودية لله، فأوصله إلى رتبة الألوهية والفعل المطلق في الكون ونسبة حدوث الأشياء وأحداثها إليه حقيقة وصراحة. فهذا واضح في الكفر جلي في المنع. وهو قليل مردود بل يكون نادراً معدوماً لا وجود له.

وأكاد أجزم أنه لم يعرف عن أحد من مداح رسول الله المعروفين مثل ذلك فيما أعلم والله أعلم. فقد عصم الله نبيه من أن تضل أمته وتهوي إلى الشرك فيه أو بسببه.

فمدح النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بغرض العبادة ولا التأليه بل هو غرض من أغراض الشعر يجب أن يقرأه القارئ الناقد قراءة فنية بلاغية وعروضية ولغوية ولا يكيل اتهاماته بالكفر للشعراء النادحين المحبين فكلهم يشهد لله بالوحدانية وللنبي صلى الله عليه وسلم .

القسم الثالث : المديح المختلف فيه بين القبول والرد، والأخذ به والمنع عنه، وهذا راجع إلى مبالغات بعض المادحين، أو أخذهم ببعض ما ليس بقوي السند من الأخبار والآثار، أو فهمهم بعض النصوص على وجه محتمل لم يوافقهم غيرهم فيه.

وهذا النوع من المديح هو الذي يثير الجدل واللغط عند بعض المتشددين، ناسين أو متناسين أن المبالغة، واستعمالَ المجاز والتورية والكناية والاستعارة طبيعة في الشعراء، لم ينه عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستمع إليهم في مدحهم له.

ـ مدائح العصر من أهل كل مصر :

وإذا كنت أعجز من أن استوفي مديحه صلى الله عليه وسلم، أو أوفيه كامل حقه من البحث والحديث، في عجالة من الوقت، وضعف من الجهد، فإنني سأقتصر هنا على طائفة من أشهر مدّاحه صلى الله عليه وسلم في العصر الحديث: في المائة سنة الأخيرة من زمننا، وأبرز ما فاضت به قرائحهم وما تفتقت عنه أذهانهم، مما يدل على أن جذوة ـ حبه صلى الله عليه وسلم – لا زالت في النفوس متقدة حية.

وأجتهد أن تكون مدائحه صلَّى الله عليه وسلَّم التي جمعتها هنا متنوعة في أساليبها ومواضيعها وبلدان أصحابها وشعوب قائليها ولغات ناظميها ومستوياتهم الاجتماعية والعمية... لأثبت وأبرهن على أن مدحه صلَّى الله عليه وسلَّم الذي هو وليد حبه لا زال شلالاً متدفقاً ونبعاً فياضاً هادراً في هذا العصر على ألسنة المسلمين كما هو الحال من قبل في كل العصور سواء بسواء. وقد جمعت قصائد في مديحه صلَّى الله عليه وسلَّم للشعراء التالية أسماؤهم :

من مصر : أحمد شوقي ومحمود سامي البارودي ومحمود محمد بكر هلال ومحمد هارون الحلو وعبد الغفار حامد هلال ومود التهامي

ومن الكويت : عبد الجليل الطبطبائي وخالد سعود الزيد وخالد محمد الفرج وندى الرفاعي

ومن البحرين: أحمد محمد الخليفة والحسيني مصطفى الريس

ومن السعودية : محمد أمين الكتبي وعبد الرحمن العشماوي

ومن سوريا : عيسى البيانوني وعمر أبوريشة وعمر بهاء الدين الأميري ومحمد القولي وضياء الدين الصابوني

ومن اليمن عبد القادر جيلاني بن سالم الخرد

ومن فلسطين يوسف اسماعيل النبهاني

ومن تونس محمد الناصر الصدام

ومن موريتانيا التراد بن العباس

ومن السودان حسن ابراهيم الأفندي

ومن الهند حبيب الرحمن العثماني وأنور شاه الكشميري ومحمد يوسف البنوري

ومن الداغستان نجم الدين دنوغونه [23]

وقد مدحه صلى الله عليه وسلم شعراء غير مسلمين من العرب وغير العرب منهم : عبد الله يوركي حلاق وخليل مطران وجورج صيدح ورشيد سليم الخوري وإلياس فرحات ومارون عبود ومحبوب الخوري الشرتوني وفولفانغ فون غوته .

ونستفتح مدائح أمير الشعراء أحمد شوقي من مصر لرسول الله صلى الله ليه وسلم باستعراض مقاطع وأبيات من رائعته الأولى (الهمزية النبوية) :

وُلِدَ الهدى فالكائناتُ ضياءُ   وفمُ الزمانِ تبسّمٌ وثناءُ

الروحُ والملأُ الملائكُ حولَه   للدينِ والدنيا به بُشْراءُ

نُظمتْ أسامي الرسلِ فهي صحيفةٌ   في اللوحِ واسمُ محمدٍ طُغَراءُ

اسمُ الجلالةِ في بديعِ حروفِه   ألفٌ هنالك واسمُ طه الباءُ

يا خيرَ من جاءَ الوجودَ تحيةً   من مرسلينَ إلى الهدى بك جاءوا

بك بشَّر اللهُ السماءَ فزُيّنتْ   وتضوّعتْ مِسكاً بك الغبراءُ

وبدا محياك الذي قَسَماتُه   حَقٌ، وغُرتُه هدى وحَياءُ

---

[23] **الشيخ عبد الله نجيب سالم الباحث العلمي بالموسوعة الفقهية2009/11/1 م**

لي في مديحِك يا رسولُ عرائسٌ تُيِّمْنَ فيك وشاقَهن جَلاءُ
هنَّ الحِسانُ فإنْ قبلتَ تكرُّماً فمُهُورُهُنَّ شفاعةٌ حَسْناءُ

ولـه أيضا

تجلّى مولدُ الهادي وعمتْ بشائرُه البواديَ والقِصابا
وأسدتْ للبريّةِ بنتُ وهبٍ يداً بيضاءَ طَوّقتِ الرقابا
لقد وضعتْه وهّاجاً منيراً كما تَلِدُ السمواتُ الشهابا
فقامَ على سماءِ البيتِ نوراً يضيءُ جبالَ مكةَ والنِّقابا
وضاعتْ يثربُ الفيحاءُ مسكاً وفاحَ القاعُ أرجاءً وطابا
أبا الزهراءِ قد جاوزتُ قدري بمدحِكَ بَيْدَ أَنّ ليَ انتسابا
فما عرفَ البلاغةَ ذو بيانٍ إذا لم يتخذْكَ له كِتابا
مدحتُ المالكينَ فزدتُ قَدْراً وحين مدحتُك اقتدتُ السَّحابا

ويحلق بنا الشاعر عمر بهاء الدين الأميري السوري في سماوات الحب المحمدي ليحوّل هوى رسول الله صلى الله عليه وسلم دواء للقلوب العليلة، وطبّاً للأسقام المهولة. يقول في قصيدته الرائعة (الهوا دوا) بعد عارضٍ صحيٍ أَلَمّ به فجأة وهو في المدينة المنورة:

تصاعد ضغطُ الوجدِ فانخفضَ الضَّغْطُ ورِيعَ الطبيبُ البَرُّ، واضطربَ الرَهْطُ
وقالوا: تَلَبَّثْ، قِيلَ: قد حَجَزوا له رَدَّ وجيبُ القلبِ: إياك لا تَخْطُ
فإنكَ تَشْكو الذنبَ والجذبَ والجَوَى وأحمدُ مِعْطاءٌ، وأنتَ له سِبْطُ
تعالَجْ به، زِدْ في الهوى، فالهَوى دَوا علاجُك فَرْطُ الحبِ، لا الحَبُّ والنَّقْطُ

ولا، لا تغادرْ روضة الطهرِ والسَّنا فكم في ظلامِ الذنبِ من نورِها وَخْطُ
لها نَفحاتٌ فأسالِ اللهَ فَيْضَها بلهفةِ حِبٍ، إنَّ محضَ الهوى شَرْطُ
لقد أَجْدَبتْ هذي القلوبُ وأَمْحَلَتْ وبالحُبِ فوقَ الطِبِّ يُسْتخصَبُ القَحْطُ
ومَنْ يَنْتَسِبْ يَشْرُفْ، ومن يَقْتَرِبْ يَنَلْ جَدَا اللهِ والقُربى هي الكَرَمُ الفَرْطُ
فقلتُ: أجلْ رُوحي ورَاحي ورَاحتي هَوَى المصطفى، لا لَنْ أُفَوِّتها قَطُّ.

ويلتفت الشاعر الفذ عمر أبو ريشة من سورية بأبياته المصورة السلسة، ليرسم لنا ولادة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ويتمه وطفولته وكفالة عمه أبي طالب له يقول:

بَسَمَ الطفل للحياةِ وفي جَنْبيه سرٌّ الوديعة الصَّماءِ
هبَّ من مَهدِه، وَدَبَّ غريبَ الدارِ في ظِلِّ خيمةٍ دَكْناءِ
تَتَبارى حليمةٌ خَلْفه تَعْدو وفي ثغرِها افترارُ رِضاءِ
عَرفتْ عنه طَلْعَةَ اليُمنِ والخيرِ إذا أجدبتْ رُبَى البيداءِ
وتجلّى لها الفِراقُ فأغفتْ في ذُهولِ وأَجْهَشتْ بالبكاءِ
عادَ للربعِ أينَ آمنةٌ والحبُّ والشوقُ في مجالِ اللقاءِ
ما ارتوتْ منه مُقْلةٌ طالما شَقّتْ عليه ستائرَ الظلماءِ
يا اعتدادَ الأيتامِ باليتمِ كَفْكِفْ بعدَه كلَّ دمعةٍ خَرْساءِ
أحمدٌ شبَّ يا قريشُ فتيهي في الغِوايات واسْرحي في الشقاءِ
وانْفُضي الكفَّ من فتى ما تَرَدى بِرداءِ الأجدادِ والآباءِ
أنتِ سميّتِه الأمينَ وضَمَّخْتِ بذكراه نَدوةَ الشعراءِ

وأخيراً يصل أبو ريشة إلى الصفحة الأخيرة من حياة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلا يفوته أن يتناول ذلك ببديع التعبير وجميل الوصف:

وَجَمَ المؤمنون في رَهْبةِ الظنِّ   وناموا على رُؤىً سوداءِ
وتَمَطَّى على المدينةِ صُبحٌ   كاسفُ الوجهِ قاتمُ الأفياءِ
أحمدٌ ودَّعَ الحياةَ فيا فاروقُ   أقصرْ ما فيك من غَلْواءِ
كلُّ حيٍّ رهنُ الفناءِ وتبقَى   آيةُ اللهِ فوقَ طوقِ الفناءِ
يا عروسَ الصحراءِ ما نَبتَ   المجدُ على غيرِ راحةِ الصحراءِ
كلما أغرقتْ لياليها في الصمتِ   قامتْ عن نَبْأَةٍ زَهْراءِ
وَرَوَتْها على الوجودِ كِتابا   ذا مُضَاءٍ أو صَارماً ذا مَضاءِ
فأعيدي مجدَ العروبةِ واسقي   مِنْ سَناهُ محاجرَ الغَبْراءِ
قد تَرُفّ الحياةُ بعد ذبولٍ   ويلينُ الزمانُ بعدَ جفاءِ

وفي قصيدته (النبي محمد) يغرد شاعر الخليج خالد الفرج بمدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول :[24]

بمحمدٍ – صلُّوا عليه وسلِّموا -   قد أشرقَ الكونُ البهيمُ المُظْلمُ
ليلٌ عليه الشركُ مَدّ رُواقَه   فهوتْ به شُهُبٌ وخَرّتْ أَنْجمُ
هي كالنِّثارِ من المَلائكِ للوَرَى   فَرَحاً به، ولكلِ عاتٍ تَرْجُمُ
وتقدَّمَتْه من الخَوارقُ جُملةٌ   شُدِهَ القُسوسُ لها، وحَارَ القيّمُ
نورُ الهدى كالصبحِ لاحَ فأُخمدتْ   نارُ المَجوسِ ولم تَعُدْ تَتَضَرَّمُ

---

[24] الشيخ عبد الله نجيب سالم الباحث العلمي بالموسوعة الفقهية2009/11/1 م

وتهاوتِ الأَصنامِ من عَليائِها كادتْ لفرطِ سُقوطِها تَتَحَطَّمُ
وكأنما الإرهاصُ يَنطِقُ واعظاً لو يفهمُ القولَ الأَصَمُّ والأَبكمُ
ولدتهُ آمنةٌ أَغَراً أَبْلَجاً بَشَراً بناموسِ النبوةِ يُختَمُ
وعليه من سِيما الكمالِ مَخائلٌ تُجْلَى إذا ما شامَها المتوسِّمُ

وينتقل الشاعر الكويتي عبد الجليل الطباطبائي إلى امتداح كفّ المصطفى صلى الله عليه وسلم في عطائها ودعائها. يقول:[25]

له رَاحةٌ بالجُودِ يَهْمِي غَمَامُها ولم يَكُ للملهوفِ عن وِردِها صَدُّ
وفيها لَدَى البَأْساءِ للبائسِ الغِنَى وفيها صُنوفُ اليُمْنِ يُغْنَى به الوفْدُ
وفيها الحَصَى والزادُ سبَّح جَهْرةً ومنها ثِمارُ الغَرْسِ من عامِها تبدو
بها اتَّقَدَتْ بالنّورِ عَيْنُ قَتَادةٍ وقد رَدَّها من بعد ما مَسَّها الخدُ
ومسَّ بها رأسَ الأُقيرعِ فاغْتَدى على حُسنِهِ يَزْهو به الشَّعْرُ الجَعدُ
جَرَى الماءُ من بين الأَصابعِ فارْتَوى مِراراً به جَيْشٌ وقد عَذُبَ الوِردُ
وكم فازَ راجٍ بالمنى من دُعائِهِ وأحيى قلوباً منه أَمْرَضَها الحِقْدُ
دَعَا اللهَ في إكثارِ تَمْرٍ لجابرٍ وكانَ لبَعْضِ الدَّينِ قد قيلَ لا يَعْدو
وما جَاعَ غزوٌ كان منهم محمدٌ إذا قَلَّتِ الأزوادُ يَدْعو فترتَدُّ
دَعَا لِعَليٍّ لا يَهي البَرْدَ جِسْمُه فَعَاشَ ولا حَرٌّ يُلِمُّ ولا بَرْدُ
وكم من مَرِيضٍ مُدْنَفٍ قد دَعَا له فعُوفِيَ مما كان يُضْني فَيَشْتَدُّ
لِأُمِّ سُلَيمٍ في ابنِها أَنَسٍ دَعَا فَفَاضَ عليه المالُ والعُمْرُ والوِلْدُ

---

[25] الشيخ عبد الله نجيب سالم الباحث العلمي بالموسوعة الفقهية2009/11/1 م

ومَزَّقَ كِسْرى طُرْسَه (كتابه) فَدَعا فما   رَسَا ملكُهُ. والفَرْعُ مزَّقَ والجندُ

ويناجي الشاعر السيد عبدالجليل الطباطبائي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول:

فيا خيرَ خَلْقِ اللهِ مَجْداً ومَحْتدا   ونَفْساً وأَخْلاقاً بها عُرِفَ المَجْدُ
أتيتُ إليكَ اليومَ أَطْوي سَباسِباً   قِفاراً يُباريني بها الخَوْفُ والكَدُّ
وفارقتُ أَخْداني ودَاري وجِيرتي   ولم يَغْلُ عندي المالُ فيك ولا الوِلْدُ
ومالي بهذي الدارِ غيرُك مَأْرَبٌ   ومالي سِوى فَيّاضِ إحسانِكم قَصْدُ
تَرَاني كشفتُ الرأسَ أُنشِدُ واقِفاً   قد انحَلَّ من دمعي على شَيْبَتي عِقْدُ
أتيتُكَ أشكو عِبءَ ظَهْري بما جَنَتْ   يَدايَ، فإني بالمآثِمِ مُمْتَدُّ
يدُ الغَفْلةِ استولتْ على القَلْبِ عَنْوةً   فَمَالي إلى قَلبي صُدورٌ ولا وِرْدُ
وطالتْ إساءاتي فَوَجْهُ صَحيفَتي   بِرَسْمِ الخطايا والقبائحِ مُسَوَّدُ
وقد كَبِرتْ سِنّي ولم أَرَ قوّتي   تُطيقُ من الأعْمالِ ما به يُعْتَدُّ
وأنتَ لنا الجاهُ العَريضُ لك الثّنا   لكَ المَنْصِبُ العاليِ من اللهِ والمَجْدُ
فهَبْ ليَ من فَيّاضِ هَدْيكَ نَظْرَةً   ليُجْلى بها القلبُ الصَّدِيُّ فيمتدُّ
وَأَحْيا على الهَدْيِ الذي جئتَنَا به   وَمَوْتي على توحيدِ مَنْ لا لَهُ نِدُّ[26]

---

26 السابق

وشاعرة الحرمين السيدة ندى الرفاعي، وهي تمتدح رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيقة الأحاسيس، شفافة الرؤية عميقة الحب لرسول صلى الله عليه وسلم. تقول في قصيدتها (إلى المدينة المنورة):[27]

رُوحيَ الظمْأى في الدروبِ　　لم تَزَلْ تَسألُ غفّارَ الذنوبِ
أنْ يَلمَّ الشمْلَ بالنورِ الحبيبِ　　رغمَ تَقْصيري وَقَد بانتْ عُيوبي...
عائدٌ قلبي إليكم والمصيرُ　　كلما مَرَّ زمانٌ ومَسِيرُ
شِدةُ الوجدانِ والحبُّ الأثيرُ　　فمضى يَتبَعُكم صَبٌّ أسيرُ...
يا رسولَ اللهِ قد طالتْ سنيني　　بعدَكم لا غَدْوةٌ تَشْفي حَنيني
أَتُراني في مَنامِي أم يَقيني　　هانَ باللقْيَا انتظارِي وأَنيني...
صاحبَ المحرابِ أشجاني اشتياقُ　　خاطبتكَ الروحُ والدَّمعُ المراقُ
أَبتغي وَصْلاً إذا آنَ الفِراقُ　　أبداً أُفديك والعهدُ وثاقُ...
يا دليلَ الناسِ في خيرِ طريقِ　　مَنْبَعَ الأخلاقِ والقولِ الصدوقِ
في هَواكمْ طابَ لي أَزْكى الرحيقِ　　نَفْحَةٌ تُذْهِبُ عني كلّ ضِيقِ...
يا أبا الأيتامِ ذا القلبِ الرحيمِ　　سَيّدَ الإحسانِ والبَرّ الكريمِ
ولقد أقبلتَ بالمَسْعَى القَويمِ　　تُبْرئُ الخَلق من الشركِ الذَّميمِ...
فَلَكمْ علمتَنا حبَّ العَطاءِ　　ولكمْ أَرسيتَ في بَرِّ النقاءِ
حينما أسَّستَ بُنيانَ الوفاءِ　　مَرْسَلاً بالحقِ من ربِ السماءِ...
أنتمُ في الدهرِ كالدُّرِّ الفريدِ　　يا شَفيعاً عند توابٍ حَميدِ
ولقد شرّفَ ذِكراكم قَصيدي　　ولقد زانَ بمرآكُمْ وُجودي...

---

[27] **الشيخ عبد الله نجيب سالم الباحث العلمي بالموسوعة الفقهية2009/11/1 م**

وإذا وقفنا مع الشاعر التونسي محمد الناصر الصدام في قصيدته (إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) تراءت لنا معان جديدة من الحب والمديح :[28]

لا دَرَّ دَرِّي ولا بُلِّغْتُ أَوطَاري ... إنْ لم أُجِدْ في رَسولِ اللهِ أشْعاري
في سيدٍ ظُلمةُ الدنيا بهِ انْقَشَعتْ ... لمّا أفاضَ عليها فَيْضُ أنوارِ
في مَنْ سَنَا هَدْيِهِ عمَّ البسيطةَ مِنْ ... سَهْلٍ وَوَعرٍ وأنجادٍ وأغْوارِ
مَنْ لاَحَ بدراً على الأكوانِ فاقتَبَسَتْ ... من نورِهِ كلُّ أَصْقَاعٍ وأقْطارِ
محمدٌ مُنْقِذُ الدنيا وسيدُّها ... عَيْنُ الوجودِ وأسنى صَفْوةِ الباري
عَمَّ الخَليقةَ إحساناً وَمَرْحَمةً ... وطَهَّرَ الأرضَ من شرْكٍ وأقذارِ
ومِنْ ضَلالٍ ومن جَهْلٍ ومن عَمَهٍ ... ومن عِبادةِ أوثانٍ وأحجارِ
من نورِ طهِ على الأكوانِ قد سَقَطتْ ... شمسُ الحقيقةِ، لم تُحْجَبْ بأستارِ
أنتَ الذي اختاركَ الرحمنُ وَاسِطةً ... لخلقِهِ مُنْتَقىً من نَسْلِ أطهارِ
من خصَّهُ اللهُ فينا بالشَّفَاعةِ هَلْ ... يُقاسُ مِقدارُه السامِي بمِقْدارِ
بحَيْلِهِ أنا بعدَ اللهِ مُعْتَصِمٌ ... لَيْلِي وصُبْحي وآصَالي وأَبْكاري
يَهْواهُ قلبي وإنْ قَصَّرْتُ في عَمَلي ... واللهُ يَعْلَمُ إعلاني وإسْراري
زَادي وذُخْري وآمالي محبَّتُهُ ... منها مَنَابعُ إيرادِي وإِصْداري
يا مَشْرِقَ النورِ يا رُوحَ الوجودِ ويا ... مصباحَنا في دَياجِي هذه الدارِ
لو أنَّ ما في السما والأرضِ أَلْسِنَةٌ ... تُحْصِي مَزَاياكَ لم تَبْلُغْ لمِعْشارِ

[28] السابق

ويرسل الشيخ السوري عيسى البيانوني أبيات الشعر في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستعينا على ذلك بالاقتباس من كلام الله عز وجل في كتابه العزيز، وهذا يكاد يكون من فرائده، فلا ينظم بيتاً هنا من الشعر إلا ويضمنه أو يشير فيه إلى آية أو بعض آية من كتاب الله سبحانه:[29]

صلوا على الحبيب طه الهادي (تزودوا فإن خير الزادِ)

إن رمتموا التقريب والتكريما (صلوا عليه وسلموا تسليما)

تواضعاً قد ركب البعيرا (والخيلَ والبغال والحميرا)

لما البعيرُ جاءَه ولاذا (قال الذين كفروا : إنْ هذا)

كان حبيباً سيداً صَفِياً (وكان عند ربه مَرْضياً)

صلوا على من قال ربِّ أمتي (لا تحزنوا وأبشروا بالجنة)

فقل لمن في حبه قد عذلا (إني أمرت أن أكون أولا)

قد أفلحوا من خَفَضوا للهِ (أصواتهم عند رسول اللهِ)

منجي الورى يوم تقوم الساعةُ (يومئذٍ لا تنفع الشفاعةُ)

إلا التي خير الورى ينالُها (دانيةً عليهمو ظلالُها)

صلوا على شفيعنا هادينا (إلى صراطٍ مستقيمٍ دينا)

فاضَ لكلِ الخلقِ منه وَدْقُ (وشهدوا أنَّ الرسولَ حقٌّ)

قد هيأ اللهُ له لما دعا (من كلِ شيءٍ سبباً فأتبعا)

فإنْ أَبَوا أن يسمعوا ما يحيي (قلْ إنما أُنذِركم بالوحيِ)

وكلما للمعجزات بَيّنا (قال الذين كفروا لن نؤمنا)

---

[29] السابق

وبحرُ جودِه لهم بسيطُ (والله من ورائهم محيطُ)

تُعْساً لمن يُبغضُ ما أبعدهْ !! (يَحْسَبُ أنَّ مالَه أخلدهْ)

كم قال قولاً مُعْرِباً عن فضلهِ (لبثت فيكم عُمُراً من قبلهِ)

صلوا عليه تَغنموا العزَّ المصونْ (ود الذين كفروا لو تغفلون)

تلك القرى نَبَؤُها يا قاسمُ (نقصُّه عليك منها قائمُ)

كم قريةٍ لما خلت من حبكا (طاف عليها طائف من ربكَ)

آيات وجدٍ لتذيبَ العاشقينْ (ولِتكونَ آيةً للمؤمنينْ)

كم فتيةٍ في البَرِّ تبغي حجةً (لمارأته حَسِبَتْهُ لُجةً)

وكم محبٍ قاصدٍ للجمرةِ (اقبلتِ امرأتُه في صَرّةِ)

قد عَشِقوا طه وآمنوا بمنْ (أوحى إليهم ربهمْ لَنُهْلِكَنْ)

طائفتا حبِّ أبي الزهراء (إحداهُما تمشي على استحياءِ)

قِسْمٌ لقد جاءوا وهم أفواجُ (وآخرُ من شكله أزواجُ)

وكلهم من فرحٍ في عاليهْ (يقولُ هاؤوم اقرءوا كتابيهْ)

في حبه الأوطانَ يهجرونا (أولئك الذين يؤمنونا)

وافى إلى الدنيا الشفيعُ الأشرفُ (قل يا عباديَ الذين أسرفوا)

سبحانَ من أبدعه وصورهْ (من نطفةٍ خلقه فقدرهْ)

محبُّه في الحشرِ ذو انتعاشِ (يومَ يكون الناس كالفراشِ)

لمبغضيه الويلُ كل الويلِ (من قوةٍ ومن رباط الخيلِ)

كم صوبوا سهامَ لومٍ صائبهْ (من قبلِ هذا فاصبر إنَّ العاقبهْ)

قد أسبغَ الله به لآمنهْ (نِعَمَه ظاهرةً وباطنهْ)

وقلبُها من السرور طابا (فاتخذتْ من دونهم حجابا)
كأنها من لطفهِ إذ تضعُ (في جنةٍ عالية لا تسمعُ)
من حسنهِ قد ازدهتْ جمالا (وفُتحتْ أبوابُها وقالا...)

ومن مديح الشيخ الفلسطيني يوسف النبهاني[30] لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما يذكر له أنه نظم أوزان بحور الشعر الستة عشر في مدحه صلى الله عليه وسلم، ليسهّل معرفةَ بحور المدائح النبوية بالقياس على أبياته هذه، أو أن يجعل ميزان الشعر العربي كله مقيساً على مديحه صلى الله عليه وسلم.

فالبحر الأول : الطويل. قال:

أجلْ ليسَ للهادي الشفيع مماثلُ هو البحرُ لم يعرفُ له قطٌّ ساحلُ

والبحر الثاني : المديد ، قال فيه :

أيَّدتْ خيرَ الورى معجزاتُ كُلُّها آياتُها بَيّناتُ

والبحر الثالث : البسيط ، قال فيه:

للمصطفى مِلّةٌ دانتْ لها المِلَلُ وشرعُه أشرقتْ من نورِه السُّبُلُ.

والبحر الرابع : الوافر، قال النبهاني فيه:

علمتُ اللهَ ليسَ له مثيلُ وأنَّ محمداً نِعْمَ الرسولُ

والبحر الخامس : الكامل، وفيه يقول:

بمحمدٍ نورُ المعارفِ شاملُ لولاه ما عَرَفَ الفضائلَ فاضلُ

والبحر السادس : الهزج، قال فيه:

---

30 * ملحوظة : الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني المادح وصاحب المجموعة النبهانية في المدائح النبوية والتي جاء فيها المدائح المذكورة لبناني وليس فلسطيني

أتى المختارَ تنزيلُ		بهِ قدْ جاءَ جبريلُ

والبحر السابع : الرجز، وفيه يقول:

خيرُ الورى طُرّاً وأَعْلى أفضلُ		نبيُّنا المدَّثِرُ المُزَّمِلُ

أما البحر الثامن : الرَمَّل، فقال فيه:

طيبةُ طابتْ وهاتيك الجهاتْ		شَمَلَتْها بالنبيِ البركاتْ

والبحر التاسع : السريع ، قال فيه:

ما تحتَ تهديدِ العِدا طائلُ		نبيُّنا الهادي لنا كافلُ

والبحر العاشر : المنسرح ، قال النبهاني فيه:

خيرُ الورى بالكمالِ مُشْتَمِلْ		بفضلِه الجمِّ يُضربُ المَثَلْ

والبحر الحادي عشر : الخفيف ، فيه يقول:

مِن هُدى المصطفى استفادَ الهداةُ		واستنارتْ بنورِهِ النيّراتُ

وفي البحر الثاني عشر : المضارع ، يقول:

عُلا طه شامخاتْ		على الزُّهرِ عالياتْ

أما البحر الثالث عشر : المقتضب ، يقول:

شرعُ طه مُكْتَمِلْ		وهو عَدْلٌ مُعْتَدِلْ

وفي البحر الرابع عشر : المجتث ، يقول:

أئمةُ الشركِ ماتوا		بسيفِ طه وفاتوا

وفي البحر الخامس عشر : المتقارب ، قال فيه:

سَمَا فوقَ هامِ السماءِ الرسولْ		دنا فَتَدَلّى فكانَ القبولْ

وأخيراً البحر السادس عشر : المتدارك ، ويسمى الخبب. يقول فيه النبهاني:

الفَضْلُ تقاسَمَه الرُّسُلُ   والكلُّ بأحمدَ مُكْتَمِلُ

شعراء غير مسلمين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

قافلة مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم حفلت بأناس غير مسلمين، شاركوا لسبب أو لآخر في ملحمة المديح النبوي الرائعة.

1- هذا هو الشاعر الحلبي المبدع (عبدالله يوركي حلاق) في قصيدته الغراء (قبس من الصحراء). يقول بافتخار، مادحاً رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قبسٌ من الصحراءِ شعشعَ نورُه   فجلا ظلامَ الجهلِ عن دُنيانا
ومشى وفي أردانِهِ عَبَقُ الهدى   وأريجُ فضلٍ عطَّرَ الأكوانا
بعثَ الشريعةَ من غياهبِ رِمسِها   فَرَعى الحقوقَ وفتَّحَ الأذهانا
مَرْحَى لأُمِّيٍ يُعَلِّمُ سِفْرُهُ   نُبغاءَ يَعْرُبَ حِكمةً وبيانا
أمحمدٌ والمجدُ نسجُ يمينِهِ   مَجَّدْتَ في تعليمك الأديانا
وَنَشَرْتَ ذِكرَ اللهِ في أُميّةٍ   وثنيةٍ ونَفَخْتها الإيمانا
وأمرتَهَا بالبِرّ فاعتزَّتْ به   وتسابقتْ في نَشْرِها الإحسانا
إنّي مسيحيٌ أُجِلُّ محمداً   وأراه في سِفْرِ العُلى عُنوانا
وأُطأطِئُ الرأسَ الرفيعَ لذِكْرِ مَنْ   صاغَ الحديثَ وعلّمَ القرآنا
إني أُباهي بالرسولِ لأنه   صَقَلَ النفوسَ وهذَّبَ الوِجْدانا
ولأنه داسَ الجهالةَ وانْتَضى   سيفَ الجهادِ فحَطّم الأوثانا
ولأنه حَفِظَ العروبةَ وابْتَنَى   للعُربِ مَجْداً رافقَ الأزمانا
صان الفَخَار البِكْرَ ذِكرُ محمدٍ   وَهَفا، فشَنَّفَ باسمِهِ الآذانا

أَمعزِّزَ الفُصْحى ومُطْلِعَ شَمْسِها   ذِكراكَ عيدٌ يُذْهِبُ الأشجانا
ذكراكَ تَجمعنا وتَجمعُ حولنا   إخوانَ صِدْقٍ عانقوا الإخوانا
إنا حَلَفْنا أنْ نصونَ إخاءَنا   بسياجِ عزٍّ لن يُمَسَّ هَوانا

2- وهذا الشاعر اللبناني الأصل، المصري الموطن، شاعر القطرين (مطران خليل مطران) ينطلق في عالم المديح الرحب، يجلجل بصوته، يقول:

عانى محمدُ ما عَانَى بهجرتِهِ   لِمَأْرِبٍ في سبيلِ اللهِ محمودِ
وكم غَزَاةٍ وكم حَرْبٍ تَجَشَّمَها   حتى يعودَ بتمكينٍ وتأييدِ
صَعْبانِ راضَهما: توحيدُ معشرِهم   وأخذُهُم بعدَ إشراكٍ بتوحيدِ
وبَدْؤُه الحكمَ بالشورى يُتِمُّ به   ما شاءه اللهُ من عدلٍ ومن جودِ

3- أما الشاعر المسيحي (جورج صيدح) وهو أحد الشعراء العرب في المهجر الجنوبي (أمريكا الجنوبية) فقد صرح بافتخاره بالنبي في قصيدته البليغة التي سماها (صحراء يثرب).

يا مَنْ سَرَيْتَ على البُرا   قِ وجُزْتَ أشواطَ العَنَانْ
آنَ الأوانُ لأن تُجَدِّ   دَ ليلةَ المِعْراجِ.. آنْ
عَرِّجْ على القُدس الشَّر   يفِ ففيه أقداسٌ تُهانْ
ماذا دَهاهم ؟ هل عَصَوْ   كَ فأصبحَ الغازي جَبَانْ؟
أنتَ الذي علَّمتَهم   دفعَ المَهانةِ بالسِّنانْ
ونذرتَ للشهداءِ جنا   تٍ وخَيْراتٍ حِسَانْ

4- ويتشرف الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) وهو مسيحي من شعراء المهجر، بإرسال تحية عطرة وسلام صادق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عيدُ البريةِ عيدُ المولدِ النبوي   في المشرقين له، والمغربين دَوِيْ
عيدُ النبيّ ابنِ عبدالله مَنْ طلعتْ   شمسُ الهدايةِ من قرآنِهِ العَلَوِيْ
بدا من القفرِ نوراً للورى وهدى   يا لِلتمدّنِ عَمَّ الكونَ من بَدَوِيْ
يا فاتحَ الأرضِ مَيْداناً لدولتِه   صارتْ بلادُك ميداناً لكل قَوِيْ
يا قومُ هذا مسيحيٌّ يُذكرُكُم   لا يُنْهِضُ الشرقَ إلا حبُّنا الأخويْ
فإن ذَكَرتم رسولَ اللهِ تَكْرِمةً   فبلّغوهُ سلامَ الشاعرِ القَرَوِيْ

5- وهناك شاعر نصراني آخر من شعراء المهجر هو (إلياس فرحات) نظم قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مملوءة بعاطفة جياشة وإعجاب واحترام

غَمَرَ الأرضَ بأنوارِ النبوَّهْ   كَوكبٌ لم تُدْرِك الشمسُ عُلُوَّهْ
بينما الكونُ في ظلامٍ دامسٍ   فُتِحَتْ في مكةٍ للنورِ كُوَّهْ
لم يكدْ يَلْمَعُ حتى أصبحَتْ   تَرْقبُ الدنيا ومن فيها دُنُوَّهْ
يا رسولَ اللهِ إنا أمةٌ   زجَّها التضليلُ في أعمقِ هُوَّهْ
ذلك الجهلُ الذي حاربتَه   لم يزلْ يَظْهَرُ للشرقِ عُتُوَّهْ
قُلْ لأتباعِكِ صلّوا وادرسوا   إنما الدينُ هدىً والعلمُ قُوَّهْ

6- أما الشاعر اللبناني (مارون عبود) شيخ النقاد العرب، فقد كان مغرماً برسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى درجة أن سمي ولده محمداً وبه يكنى، يقول

لولا كتابُك ما رأينا مُعْجِزاً   في أمةٍ مرصوصةِ البُنيانِ
حَمَلَتْ إلى الأقطارِ من صحرائِها   قبسَ الهدى ومطارفَ العمرانِ
هادٍ يُصَوِّر لي كَأَنَّ قَوامَه   مُتَجَسِّدٌ من عُنْصرِ الإيمانِ

7ـ وهناك شاعر لبناني (محبوب الخوري الشرتوني) نظم قصيدته (قالوا تحب العرب) وقد ضمنها اعتزازه بالعربية، وفخره بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قالوا: تُحِبُّ العُرْبَ؟ قلتُ: أُحبُّهم   يقضي الجوارُ عَلَيَّ والأرحامُ

قالوا: لقد بَخلوا عليك؟ أجبتُهم: أهلي وإن بَخِلوا عليَّ كرامُ

قالوا: الديانةُ؟! قلتُ: جيلٌ زائلٌ   وتزولُ معه حَزازةٌ وخِصامُ

ومحمدٌ بطلُ البريةِ كلِّها   هو للأعاربِ أجمعينَ إمامُ

أما الشاعر الألماني الكبير فولفانغ فونِ غوته ففي قصيدته (أغنية محمد) في ديوان (خيال وواقع) نظم دراما عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب مناجاة وحديث شعري، يتبادله كل من سيدناعلي والسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهما. يقول غوته عنه صلى الله عليه وسلم:[31]

بخطوة قائد ثابتة

يجر معه مصادر أخوته

وتحت وطأة قدمه

تنبت في الوادي زهور

وتحيا من أنفاسه مروج

ولكن لا يصده واد ظليل

ولا زهور، اذ هي تطوق ركبته

وتتملق له بعيون حبيبة

[31] الشيخ عبد الله نجيب سالم الباحث العلمي بالموسوعة الفقهية2009/11/1 م

الخاتمة:

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات ،والصلاة والسلام على سيد السادات.

فهذه الصفحات أرجو من الله أن يكون فيها النفع للدارسين والباحثين والمحبين لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وجزى الله خيرا معالي الشيخ الموقر الشيخ عبد الله نجيب سالم الباحث العلمي بالموسوعة الفقهية عن جهده الطيب في دراسة المدائح النبوية ، وجزى خيرا كل من تعلّم العلم وعلمه.

وزيادة في الخير سأنشر دراستين أكثر تخصصا لي في المدائح النبوية لتعميم الخير.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

د سالم عبدالعزيز سالم عوده